على عدة منها ، ونشبت من جهة أخرى فى غرناطة حرب أهلية لم تكن بعيدة عن وحى أبى عبدالله وحزبه ، وقامت (البيازين) ضاحية غرناطة بدعوته ، وشغل ملك غرناطة (ابو عبدالله الزغل) باخماد الثورة عن مقاتلة النصارى . وفى نفس هذه الآونة العصيبة أطلق فرديناند سراح أبى عبدالله بعد ان ارتضى عقد المعاهدة التى عرضت عليه مع تعديل يسير فى بعض نصوصها ، وبعد لقاء تم بين الملكين فى قرطبة أعلن فيه أبو عبدالله خضوعه وطاعته لملك قشتالة ، واتفق ان تكون الهدنة لعامين وأن تطبق فى جميع الأنحاء التى تدين بالطاعة لأبى عبدالله . وظهر أبو عبدالله يبث دعوته فى الأنحاء الشرقية والحرب الاهلية قائمة فى غرناطة (أوائل سنة ٨٩١هـ-١٤٨٦م) وبدأت المفاوضة بينه وبين عمه (ملك غرناطة) فى الصلح . ولكن حدث أثناء ذلك أن هاجم النصارى مدينة لوشة جنوب غربى غرناطة واستولوا عليها (جمادى الاولى سنة ٨٩١ هـ) وكان موقف ابى عبدالله أثناء هذه الحوادث مريبا ؛ وكان يمزج الدعوة لنفسه بالدعوة للملك قشتالة ، ويشيد بمزايا الصلح المعقود معه ، ولم يكن خافيا أنه يستظل بمظاهرة النصارى (١) وفى شوال سنة ٨٩١ ظهر أبو عبدالله فى (البيازين) فجأة واجتمع حوله أنصاره ، وأعلن الثورة على عمه : ونشبت بينهما الحرب فى ظاهر غرناطة ، وأمد فرديناند حليفه أبا عبد الله بالجند والذخائر والمؤن . واستمر القتال بينهما مدى أشهر . وفى ربيع الثانى سنة ٨٩٢ (١٤٨٧ م) سير فرديناند قواته الى بلش مالقة (فيليز مالاجا) الواقعة على مقربة من ثغر مالقة لتتخذها تمهيدا للاستيلاء على مالقة ، وأدرك أبو عبد الله الزغل أهمية بلش الحربية فهرع إلى الدفاع عنها مع بعض قواته ، وترك البعض الآخر لقتال أبى عبدالله وأهل البيازين ولكن إقدام الزغل وعزمه وشجاعته لم تغن شيئا ؛ وسقطت بلش فى يد النصارى (جمادى الاولى ٨٩٢ - ابريل ١٤٨٧) وعاد الزغل بجنده مبمما صوب غرناطة ؛ ولكنه علم أثناء مسيره أن غرناطة قامت أثناء غيابه بدعوة أبى عبدالله ، وأنه دخلها وتبوأ العرش مكانه (جمادى الأولى) ، فارتد بصحبه إلى وادى آش وامتنع بها ، وانقسمت بذلك مملكة غرناطة الصغيرة إلى شطرين يتربص كل منهما بالآخر : غرناطه وأعمالها ويحكمها أبو عبدالله محمد ، ووادى آش وأعمالها ويحكمها عمه أبو عبدالله الزغل ، وتحقق بذلك ما كان يبتغيه ملك قشتالة من تمزيق شمل البقية الباقية من دولة الاسلام بالاندلس تمهيداً للقضاء عليها ؟ « للبحث بقية »

(١) راجع اخبار العصر ص ٢٢ و ٢٣ — والمقرى ج ٢ ص ٦١٢

أطلنطس (ATLANTIS)

القارة المفقودة !

للدكتور محمد عوض محمد

فى زعم طائفة من الكتاب أن المحيط الاطلسى الشمالى لم يكن فى جميع العصور بحراً خالصاً ، بل كانت تحتله قارة عظيمة تصل مابين العالم القديم والعالم الجديد . وهذا الزعم هو ما نريد أن نعرض له فى هذا المقال .

من أهم ما يمتاز به المحيط الأطلسى — فى وقتنا هذا — قلة الجزر . فاذا صرفنا النظر عن الجزائر الملاصقة للسواحل ، مما يعده الجغرافيون جزءاً متمما للقارات ، فان هذا المحيط عبارة عن مساحة هائلة من الماء ، ليس فيها من الجزر سوى الشىء القليل جداً .

هذه حالة المحيط اليوم ، لكن هذه لم تكن حالة المحيط فى كل عصر وزمن . فان تعاقب الماء واليابس على الجزء الواحد من سطح الأرض ، من الحقائق الجيولوجية المسلم بها . وليس هنالك خلاف فى أن أمريكا الشمالية كانت متصلة بأوربا ، وأمريكا الجنوبية بأفريقية فى زمن جيولوجى قديم .

غير أن القائلين بوجود جزيرة عظيمة أو عدة جزر كبيرة فى وسط المحيط الأطلسى ما بين ما هو اليوم أمريكا ، وبين ما هو اليوم أوربا وافريقية ، أطلقوا عليها اسم قارة اطلنطس — هؤلاء الكتاب يزعمون أن هذه القارة لم تكن موجودة فى زمن جيولوجى قديم ، يرجع إلى ملايين السنين ، بل إلى عهد حديث جداً ، عهد نشأة الانسان واستعماره لسطح الارض . ولقد يسرف بعضهم فيزعم أن هذه (القارة) كانت موجودة قبل العصر التاريخى ، بحيث كان المصريون القدماء يعلمون من أمرها الشىء الكثير .

من المهم إذن أن نقرر أن الاتصال بين شرق المحيط وغربه فى زمن جيولوجى قديم ، ليس موضع البحث ، وليس هو بالأمر الذى يعنى به هؤلاء الكتاب ، بل الذى يعنيهم وجود اليابس فى هذه المساحة العظيمة التى لا نرى فيها اليوم سوى الماء ، وذلك فى عصر

حديث شهده الانسان فى أول نشأته .

والآن نتساءل : هل هناك من شاهد على صحة مذهب إليه أولئك الكتاب ؟

قبل أن نعرض لآراء أصحاب هذا المذهب يحسن بنا أن نكون على حذر من أمرين : أولهما أن وجود هذه القارة أمر يرتاح اليـــه الخيال البشرى المولع دائما بالغريب المدهش من المسائل العلمية : وكثير من الكتاب فى هـذا الموضوع يبدأون بحثهم وفى نفوسهم رغبة فى أن يثبتوا وجود هذه القارة المزعومة . كالقاضى الذى يبدأ تحقيق الحادث وفى قلبه رغبة فى أن تثبت التهمة على المتهمين . وهذ الرغبة قد تصبغ الأدلة الضعيفة بصبغة قوية . وتحمل الباحث على التغاضى عن مواطن الضعف فيما يعرض له من الحجج .

الأمر الثانى الذى يجب أن نحذره ، هو أن وجود مثل هذه القارة أمر مرغوب فيه جداً من الوجهة العلميـة . . . لأنها تصبح مرجعا نرجع إليه فى كثير من المسائل التى صعب علينا فهمها أو تعليلها . فاذا رأينا ـــ مثلا ـــ فى أوربا أو فى افريقية شعباً أو جماعة لا نعرف لها مصدرا ، أمكننا أن نقول بكل بساطة إنها بقيـة من سكان القارة المفقودة ـــ فالرغبة فى التخلص من بعض المسائل العويصة قد تجعلنا فى اشتياق لأن نسلم بوجود هذه القارة المزعومة وأن نقبل من أجل هذا كثيراً من الاقتراحات الواهية الضعيفة .

* * *

إن أول من ذكر قارة أطلنطس فيما بين أيدينا من الكتب هو أفلاطون . فقد حكى فى كتابه (طيماوس) رواية عن أحد أجداده أن صولون حكيم اليونان الأشهر لما قدم الى مصر ، وتحدث إلى كاهن من كهنتها ، أخبره هذا الكاهن أنه كان فى المحيط الأطلسى إلى غرب عمودى الهرقل (بوغاز جبل طارق) جزيرة عظيمة تزيد فى الحجم على ليبية (افريقيـة) وآسيا الصغرى معاً . وأنها كانت عامرة يسكنها شعب قوى ذو بأس وصولة ، استطاع أن يبسط سلطانه على جميع قارة أطلنطس وعلى ما جاورها من الأقطار فى افريقية وأوربا . وأن سلطان هؤلاء (الأطلنطيين) قد امتد حتى بلغ الى مصر وبلاد اليونان . غير أن اليونان استطاعوا أن يردوهم على أعقابهم .

وهذه القارة العظيمة كانت عرضة للزلازل العنيفة والبراكين الثائرة ، فلم تلبث أن أخذتها الرجفة فهبطت تحت سطح المـاء واختفت . وذلك قبل عهد صولون بنحو تسعة آلاف من السنين !

هذه هى القصة التى ذكرها أفلاطون نقلا عن أحد أجداده . وليس هنالك ما يثبت أن هذه القصة قد رواها صولون حقيقة ، وأنها ليست من اختراع أفلاطون نفسه . وعلى كل حال ، وأيا كان مصدر هذه القصة ، فان مجرد روايتها على هذه الصورة ، لا يفيد الباحث عن أمر هذه القارة شيئا .

ان اختفاء جزيرة صغيرة تحت سطح المـاء بسبب هبوط فى قشرة الارض ليس بالشىء المستغرب ، وقد يكون اليونان أنفسهم قد شهدوا مثل هذا الحادث فى بلادهم الكثيرة الزلازل ، وهذا وحده كاف لان يوحى إليهم بأن جزيرة قد وجدت ثم اختفت فى وسط المحيط ، ولهذا فان أكثر الباحثين لم يكن يرى فى حديث هذه القارة أكثر من أنه أسطورة جميلة . غير أن كثيرا مما كان يراه العلماء مجـــرد أساطير قد أثبت البحث العلمى وجوده . وقد أخذ الباحثون يهتمون حديثا بتحقيق أمر هذه القارة .

إن هبوط جزء عظيم من سطح الارض واختفاءه تحت سطح الماء ليس بدعا فى الحوادث الجيولوجية الطويلة المدى ، التى تستغرق عشرات الملايين من السنين . وكذلك ليس بعجيب أن تختفى جزيرة صغيرة تحت الماء فى زمن وجيز بسبب حادث ركانى خطير . لكن الأمر الذى يصعب تصوره هو أن كتلة هائلة من اليابس تهبط نحو ثلاثة آلاف متر فى زمن يعـــد وجيزا جداً بالنسبة الى ما يستدعيه مثل هذا الانقلاب الخطير فى سطح الارض . وبالطبع ليس اثبات هذا الأمر بالشىء السهل ، لأن أكثر الادلة مقبور تحت قرار البحار ، فى أعماق يصعب جداً الوصول إليها .

ولننظر الآن فى الادلة التى يدلى بها القائلون بصحة هذه الأسطورة .

لعل أول جهة يجب أن يتجه إليها البحث أن نتساءل : هل فى قاع المحيط الأطلسى أو فى جزء من قاعه ما يدل على أن هذا القاع أو هذا الجزء من القاع كان أرضا ظاهرة فوق سطح الماء فى زمن حديث يقدر بنحو عشرة آلاف من السنين ؟ وهل فى السواحل الشرقية والغربية للمحيط ما يدل على أنها كانت الى وقت قريب متصلة ؟

يجب أن نجيب أو أن نحاول الاجابة على هذين السؤالين . ولكن يجب علينا أن نحذر فلا نخلط بين الاتصال الجيولوجى القديم ،

وبين الاتصال الحديث بواسطة قارة أطلنطس المزعومة .

من المعلوم أن قاع المحيطات ليس أرضا مستوية . بل فيه المرتفعات والمنخفضات والسهول والجبال . وقد أصبح ثابتا أن فى وسط المحيط الاطلسى سلسلة جبال طويلة جدا تمتد من شماله إلى جنوبه ، وفى بعض المواضع تظهر طائفة من قمم هذه السلسلة فوق سطح الماء فتتألف منها جزر مثل جزر الأزور . (Azores) فى الشمال وجزيرة الصعود (Ascension) فى الوسط . وجزيرة (ترستان دا كنها) Tristan da Cunha فى الجنوب . وفى زعم القائلين بوجود القارة المفقودة أن جزر الأزور هى البقية الباقية منها . وأن الجزء الاوسط من المحيط الاطلسى قليل العمق لانه هبط حديثا .

كذلك يشير أصحاب هذا الرأى إلى التشابه العظيم بين السواحل الشرقية والغربية للمحيط الأطلسى ، مما يدل على اتصال الساحلين فى زمن قديم . وليس من شك فى هذا التشابه ، لكنه يرجع الى اتصال فى الأزمنة الجيولوجية القديمة . ولا فائدة لأنصار هذا الرأى من الرجوع الى هذا الدليل الذى لا يفيدهم فى قضيتهم شيئا .

أما الأبحاث الخاصة بقاع المحيط الأطلسى ، والتى أريد بها إثبات أن هذا القاع كان الى وقت قريب بارزا فوق سطح الماء ، فهى — على قصورها — أقوى البراهين — أو على كل حال أقلها ضعفا — التى يدلى بها القائلون بوجود هذه القارة العظيمة .

وخلاصة هذا الدليل أنه فى عام ١٨٩٨ كانت إحدى السفن تبحث عن سلك تلغرافى قد انقطع فى وسط المحيط الأطلسى ، وفى أثناء بحثها عن هذا السلك كانت تستخرج من قاع البحر قطعا من الطين والصخر ، وقد فحصت هذه المواد فتبين أنها مما تقذفه البراكين الثائرة ، وأن هذه الصخور البركانية كانت مادة منصهرة ذائبة ثم تجمدت وكان تجمدها فوق سطح الأرض لا تحت سطح الماء كما هى حالها اليوم — وذلك لأن حمم البراكين (اللافا) اذا تجمدت فى الهواء كان لها شكل خلاف شكلها إذا تجمدت فى الماء .

والنتيجة التى يراد الوصول إليها من هذا ، هى بالطبع ان هذه البراكين هى براكين قارة أطلنطس وان هذه اللافا قد تجمدت على سطح القارة المفقودة قبل ان تختفى تحت عباب الماء . لكن لابد لنا للوصول الى هذه النتيجة الخطيرة من ان نثبت ان هذا الجزء من قاع المحيط الأطلسى الذى استخرجت منه هذه المواد قد كان فى وقت حديث — أى منذ نحو اثنى عشر ألف سنة — بارزا فوق سطح الارض .

ولاثبات هذا الأمر يقول بعض الكتاب أنه فى نظر كثير من الجيولوجيين لا يمكن اللافا ان تبقى تحت سطح الماء اكثر من ١٥٠٠٠ سنة ، لان فى هذه المدة تتحلل عناصرها تماما فلا يبقى لها أثر . إذن فاللافا التى استخرجت من قاع المحيط والتى ثبت أنها قد تجمدت فوق سطح الارض . لابد أن تكون قد غمرتها المياه حديثا — أى أن هبوط القاع حدث فى وقت حديث لا يتجاوز الخمسة عشر الف سنة !

هذه من غير شك أقوى حجة طبيعية يستند اليها القائلون بوجود قارة أطلنطس . ولكنها للاسف لا تخلو من شىء من الضعف . ذلك أنه — على فرض أن ماء البحر يحلل اللافا ويذيب عناصرها فى مدة لا تتجاوز الخمسة عشر ألف عام — يجب أن نذكر أن اللافا عادة تتراكم طبقات بعضها فوق بعض ، ذات غلظ عظيم . وقد يتحلل الجزء الأعلى ويبقى الجزء الأسفل والذى يليه وهكذا . ولابد لها من مئات أو آلاف الأزمنة التى ذكرت قبلا — لكى يتم تحللها جميعا .

فهذه الحجة اذن — وإن لم تخل من قوة — فانها لا تثبت إثباتا قاطعا سوى أن قاع المحيط الأطلسى فى بعض جهاته كان يوما ما قطعة بارزة من اليابس ثم هبط تحت سطح الماء . ولا زلنا فى حاجة الى دليل أقوى من هذا يثبت لنا أن هذا الهبوط كان منذ زمن حديث مقدر بعشرة آلاف من السنين .

كذلك التشابه الذى يشاهد اليوم بين أنواع من الحيوان فى شرق المحيط وغربه ، دليل على وجود قارة أطلنطس ، بل على اتصال قديم جداً فى أزمنة جيولوجية غابرة بين طرفى المحيط شرقا وغربا .

فالأدلة الطبيعية قليلة الغناء . ولا يبقى بعدها سوى الأدلة البشرية أو الأنثروبولوجية ، أى التى تتصل بالانسان بجنسه أو لغته أو دينه أو تقاليد أو ما شابه ذلك .

وتتلخص هذه الأدلة البشرية فيما يأتى :

١٠ — أنه قد ظهر فى أوربا أثناء العصر الحجرى القديم جنس من الناس طوال القامة عظام الهامة حسان الصورة فى وقت لم يكن فيه بأوربا سوى جماعات من جنس ذى صفات منحطة دنيئة . وقد أطلق العلماء على هذا الجنس العظيم اسم جنس « كرومانيون »

Cro — Magnon (نسبة الى ناحية فى فرنسا وجدت بها هياكل عظيمة كاملة لأفراد من هذا الجنس) . ولا يعرف أحد على وجه التحقيق من أين جاء هذا الجنس ، الذى ظهر فى أوربا فجأة فأحدث فى ثقافتها ثورة هائلة .

والآن يريد أصحاب قارة أطلنطس أن يخبرونا أن هذا الجنس إنما جاء من قارتهم المفقودة !

افتراض جميل سيخلصنا من مشكلة عويصة وهى نشأة هذا الجنس الذى لا نعرف تماما أين نشأ ! ولكن هل من العقل أن نتخلص من مشكلة لكى نقع فى مشكلة أعظم منها ؟

ان القائلين بأن هذا الجنس مصدره القارة المفقودة يزعمون أن هنالك شبها بينه وبين جنس قديم منقرض وجدت بقاياه فى البرازيل . وهذا الزعم لو صح لكان من غير شك حجة قوية لا تدحض . ولكن أكثر علماء الأجناس لا يرى مطلقا وجه شبه بين هذا الجنس البرازيلى القديم الذى وجدت بقاياه فى لاجوا سانتا وبين جنس « كرومانيون » .

٢ — فى أوربا شعب اسمه شعب الباسك Bosque يعيش على حدود فرنسا وأسبانيا . فى الاقليم الملاصق لخليج غسقونية . هذا الشعب القديم يعيش شطره فى فرنسا وشطره فى أسبانيا ويتكلم لغة ليس لها نظير فى لغات العالم كلها . وفى زعم أصحاب نظرية القارة المفقودة أن الباسك هم بقية الأطلانطيين الذين هاجروا من قارتهم الى أوروبا قبل الميلاد بعشرة آلاف سنه . وأن لغتهم تشبه لغات سكان أمريكا الاصليين بينما هى تختلف عن سائر لغات أوربا .

وهذه الحجة البراقة لاتستند هى أيضا على أساس متين ، لأن لغة الباسك لاتزال عقدة العقد . وقد رأى فقهاء اللغات فيها آراء متناقضة متضاربة ، ولم يبلغ العلم فى أمرها الى حل مقبول . وليس القول بأنها تشبه لغات أمريكا بأقوى من الرأى الذى يرى شبها بينها وبين لغات البربر فى افريقية ولغة المصريين القدماء .

٣ — اما الأدلة البشرية الأخرى التى يوردها أنصار قارة أطلنطس ، فتنحصر فى وجود تشابه حقيق او موهوم بين بعض العقائد الدينية والعادات والتقاليد والآلهة فى العالمين القديم والجديد ، ومجرد ذكر هذه الامور كاف لأن يثبت للقارئ ان هذه الادلة ليست بالشىء الذى يسهل الركون إليه ، ولا نستطيع أن نستند إليها فى القول بأن تلك الاشياء المشتركة مصدرها واحد وهو هذه القارة المفقودة ، التى انطلق منها فريق الى الشرق وآخر الى الغرب فنشروا آراءهم وعقائدهم وآلهتهم فى عالمين بينهما الآن آلاف من الاميال .

***

وهكذا يرى القارئ أن فكرة قارة اطلنطس لا تزال مفتقرة إلى دليل أقوى مما بايدينا اليوم ، ولكننا على كل حال يجب أن نرتاح إلى أن موضوعها أصبح اليوم معرضاً للبحث العلمى بالأساليب العلمية بعد أن كان مجالا للظن والخيال . ولهذا يسرنا ، أن نسمع الخبر الذى رواه أحد الكتاب فى عدد الشهر الحالى من مجلة فورتيتلى من أن بعثة ألمانية قد سافرت حديثا إلى إقليم جزر الأزور لتفتش فى قاع البحر عن أدلة جديدة عن هذه القارة المفقودة .

محمد عوض محمد .

الشعر والفن

يتمتع قليل من الناس باحساس راق مهذب ، ينفعل انفعالا قوياً حينما يشهدون جمال الطبيعة أو يتأملون أسرارها ، وهذا الاحساس السامى لا يصلون إليه من كثرة القراءة والاطلاع ، ولا من كثرة الحفظ والاستظهار ، ولا من تأبط الدواوين والكتب ، وانما يأتيهم من تدريب إحساساتهم وتمرينها على التأثر بجمال الطبيعة والتأمل فيما يغمرها من أسرار ، ويشرق عليها من نظام ، وما يزالون يدربون إحساساتهم ، ويتعهدونها بالتمرين ، حتى إذا أوفوا من ذلك على الغاية ، وضاقت قلوبهم عن حبس ما يجيش فيها من عواطف وانفعالات ، اضطروا اضطراراً إلى اخراج هذا الفيض القلبى متدفقا فى هذه الأنهار الجميلة التى نسميها فنا ، من موسيقى ورسم ونحت وعمارة وشعر ، وما أشبه قلوب هؤلاء الناس بالبؤرة الصالحة ترد إليها أشعة الاحساسات الصادرة عن صور الطبيعة المختلفة ، فتحلل فيها ، ثم تنعكس فكرا جميلة ، وصورا بديعة ، وسرعان ما يجد الفنان نفسه مضطرا إلى ابرازها واظهارها لأنه لا يستطيع أن يؤويها فى نفسه ، ولا يمكنه أن يخفيها فى زوايا قلبه ، فيقدمها للناس فى هذه الثياب الساحرة ، ثياب الفن الجميل فتسترعى ألبابهم ، وتستهوى أفئدتهم .